
أيمن شوقي
رواية
أهداب الخيانة

اهـداء

الى كل شخص قريب او بعيد
الي كل صديق للورقة والقلم والاحبار
الى اشخاص في دول أخرى رغبوا في الصداقة دون ان يروني
الى كل شخص وقف بجانبي في محناتى وازماتى
اقدم لكم هذا العمل ، دون ان انسى ذلك الجندى المجهول الذى يدفعنى الى الامام
اهداء خاص ملئ بالمحبة
من قلبي الى قلوبكم

أيمن شوقي

الفصل الاول

في منزلى القديم ، ومع نسمات الفجر الأولى

تعالى صوت خطواتي على درجات تلك البناية العتيقة في احد احياء مصر القديمة

حتى توقفت متحسسا ذلك الغبار على الباب لأدس المفتاح وأديره في بطء لأتجمد لبرهة من الزمن مراقبا فيها المكان بعينين دامعتين ، ثم اتجهت إلي غرفتى الخاصة ، في ركن المنزل

بعد كل هذه الاعوام والسنين ...

والمدهش ان ذاكرتى كانت مزدحمة بالذكريات ، في كل ركن وزواية من هذا البيت ، بل كل ضحكة وبسمة داخل كل حجرة .

وها أنا ذا ، جئت اليوم اطلب السكينة

بعد مشاحنة كبيرة بيني انا وزوجتى منال

اردت ان اعود الى ذاتى ولو قليلا ، بعد طول فراق

توقفت في الردهة عدة دقائق ، اتأمل صورة ابي الراحل

واتذكر اخر كلماته التى ما زالت تدوى في اذنى ، وتعود الدموع لتزغلل الرؤية من جديد

كان دائما ما يجدنى ولدا فاشلا

لم تشأ له الاقدار ان يرى ما مدى النجاح الذى قد وصلت اليه بعد ان وافته المنية

حتى مسحت دموعى في سرعة لاعطي ظهرى للوحة ، وجلست على الكرسي الخشبي المزين بالاصداف والارابيسك والاحجار اسفل الصورة ، مطرقا برأسي مفكرا فيما وصل بي الحال

كم اصبحت تعيسا !!

حققت من النجاحات مالم يحققه احد

ولكنى كنت في منزلى من اتعس المخلوقات

لم يكن هناك أي توافق بيني وبين زوجتى ، او حتى اطفالى

لم اخرج أبدا من ثوب الرجل الشرقي

الجيمع يحترمنى ويهابنى

لكنى لست سعيدا ... فقد كنت احتل تلك الصورة

صورة أبي ...

حتى زوجتى كانت تعاشرنى على الفراش لترضيني فقط

كانت تخرج الاصوات التى احبها

دون ان اعرف مالذى يدور في خلدها

عصفت بي الافكار كثيرا حتى اطلقت زفرة حارة ، ونهضت لأتوجه الى غرفتى مرة اخرى

ودون تفكير ... استلقيت على ارضية الحجرة متجاهلا التراب المتكدس عليها

ثم رفعت رأسي لانظر الى اغراضى المبعثرة اسفل الفراش ، ليقع بصرى على الصندوق

ابتسمت في فرحة وانا امد يدي لأخرجه في لهفة غير معروفة

وجلست اتأمل الصور على مختلف المراحل الزمنية

واتذكر بعض المواقف واضحك بمفردى حتى ادركت انى سأمكث كثيرا

فاخرجت محفظتى و هاتفى المحمول والقيتهم في اهمال على السرير وخلعت حذائى ، واسندت ظهرى على باب الحجرة وانا نصف مستلقى على الارض

واضعا الصندوق على ركبتى واخرج محتوياته شيئا فشيئا

واستغرقنى الوقت كثيرا حتى اننى لم اشعر بشئ

حتى بعد ان افرغت كل الصور

ليقع بصرى على تلك العلبة الصغيرة ... المخملية

ابتسمت في حنان وانا اتذكر تلك الهدية والتقطتها في عناية وانا انفث ذرات التراب من عليها واتحسسها في رقة

لألقى النظرة على الخاتم الذهبي الذى يرقد ساكنا متألقا ، كما تركته

دون ان تظهر عليه علامات الزمن الطويل

فقد كانت تلك هديتي الاولى والاخيرة

التى لم اقو على ارسالها الى صاحبتها يوما

اسراء

صديقة عمرى ... وحبيبتى ... وصديقة المراهقة

ابتسمت بالرغم مني عندما توقف تفكيري عند النقطة الاخيرة

وانا اتذكر المرة الاولى التى قابلتها بها... عند باب حجرتى وهي تقدم لي العصير

مازلت اتذكر ابتسامتها واحمرار وجنتيها ، وارتباكها وهي تركض متعثرة في كل شئ صادفها

حتى اعترتنى رغبة عارمة في رؤيتها ... دون مقدمات

اسرعت اعيد كل شئ في مكانه الى الصندوق في عناية واغلقته في احكام ... ونهضت محاولا ازاحة الغبار الذى لصق على ملابسي

وفتحت باب المنزل لأطرق باب الشقة المقابلة ثلاث طرقات سريعة كما هي عادتى دائما ...

لاجد فتاة صغيرة ، جميلة ، شقراء الشعر تفتح الباب وهي تحمل قطعة من الشوكولاتة وهي تقول لي في براءة :

- من انت ؟

تطلعت اليها وتفحصت ملامحها في دقة وانا اجيبها ببطء :

- انا استاذ مدحت يا صغيرتى ... هل يوجد احد هنا ؟

تركت الطفلة الباب لتهرع الى الداخل تنادى والدتها ، والافكار تعصف برأسي في سرعة

وظللت على وقفتى متجمدا وانا امد رقبتى للامام انتظر القادم المجهول ، وانعقد حاجباى في شدة حتى كادا ان يمتزجا سويا عندما سمعت صوت اقدام انثوية خافتة ، وارتفعت دقات قلبي

حتى انفرج الباب وظهر من خلفه وجه ملائكى جميل ، شعرت للبرهة الأولى اننى اعرفه وحدقت هي الأخرى في ملامحى عدة ثوانى ، حتى تهللت اساريرها فجأة وهي تهتف في سعادة :

- استاذ مدحت

وخطت خطوتان خارج الشقة وهي تصافحنى في حرارة وانا لا اعى ماذا اقول وانا اجهلها ... فشدت الفتاة على ساعدي وهي تشدنى قائلة في مرح وفرحة :

- تفضل يا استاذ مدحت ، ألا تذكرنى ؟... انا هند

شهقت في دهشة وانا اتأملها وارتفع حاجباى المعقودان لأهتف بدورى :

- هند ، معقولة ... لقد اصبحتى امرأة ناضجة ؟

ضحكت هند في صوت صافي وهي تضع يدها على فمها وتجيبنى :

- وهل يبقى كل شئ على حاله ، المهم كيف حالك واين كنت طوال هذه السنوات ، أتدرى ... لولا ان اختى اسراء تحتفظ بالبوم الصور الخاص بها ... لما تعرفت عليك الآن ؟

ابتسمت في رصانة بعد هذا الانفعال وانا احاول ان اتمالك نفسي بعد ان ذكرت هند اسم اسراء وانا اجيبها بالمقولة الشهيرة في هدوء :

- الدنيا تلاهى ياهند

اومأت هند برأسها مقتنعة وهي تدعونى للجلوس في غرفة (الضيوف) وهي تنادى على طفلتها بصوت عالى :

- تعالى يا شوق لتلق التحية على استاذ مدحت

جاءت الصغيرة وهي تجر عروسها خلفها على الارض وترفع كفها عاليا مطلقة ضحكاتها الطفولية الجميلة ، فاخذتها بين احضانى لأرفعها عاليا واداعبها ، ثم التفت الي هند وانا اسألها :

- هذه ابنتك بالتأكيد ، بارك الله فيها

ارتفع حاجبا هند في دهشة ، ثم انفجرت ضاحكة وهي تجيب :

- اتمنى هذا ... ولكنها ابنة اختى اسراء

****

سرت فترة طويلة من الصمت ، حتى انتبهت الى اننى مازلت احمل الطفلة التى تململت بين يدي فأعدتها على الارض لتكمل اللهو بالعابها وكأن شيئا لم يكن
لاتخذ مقعدا وانا اتطلع اليها صامتا ... فتنحنحت هند في حرج وهي تتمتم :

- ماذا تحب ان تشرب يا استاذ مدحت ؟

اجبتها في خفوت :

- اشكرك يا هند ، ولكنى لا ارغب في شئ

هزت رأسها نافية في قوة وهي تجيبنى :

- وهل هذا معقول ؟! .. بعد كل هذه السنين وتأتى الى منزلنا دون ان تتناول شيئا في منزلنا ... سأعد لك قدحا من القهوة التى تحبها

ودون ان تنتظر الرد ... انصرفت مسرعة باتجاه المطبخ ، ودون ان اسألها عن سبب علمها بحبي الى اقداح القهوة مستسلما للشرود في سقف الحجرة

سابحا في بحر الذكريات ، وارتسمت شبح ابتسامة على شفتى وانا اتذكر الاريكة ، واسترجع ذكريات الماضى البعيد

عندما كنت شابا في الجامعة في احدى ايام الصيف اجلس على نفس الاريكة بقميصى الابيض الناصع ، وانا اقلب في صفحات الكتاب الذى كنت اقوم بشرحه لاسراء بحجة صعوبة المواد التى اشتكت منها دائما ، وكانت هذه هي النقطة لنجلس بجانب بعضنا البعض ، ونلتصق ... وانا اشرح لها الامر في سرعة خاطفة لنتهامس ، ونتبادل عبارات الحب .

اتذكر ذلك اليوم جيدا ... عندما كانت تريدنى ان اراجع معها المراجعة النهائية لليلة الامتحان وفوجئت بها تأتى بكوب من عصير المانجو الذى اعشقه .... وتلتصق بي في شدة ، حتى سرت قشعريرة في جسدى لاجدها تميل الي حتى كادت شفتاها ان تلمس شفتاى وهي تخبرنى :

- لقد انتهيت فعلا من المراجعة ، ولكنى اشتقت اليك كثيرا

تململت في جلستى معترضا ولكنها وضعت يدها على فمى وهي تهمس في صوت رخيم :

- اردت ان اجدك بجوارى في تلك الليلة ، الجميع في الخارج لحضور فرح ابنة خالي محمد

وما ان وضعت شفتيها على عنقى ، حتى انهلت عليها بدورى بالقبلات على شفتيها وعنقها وانا اتحسس نهديها في نشوة وحب ... وفي حركة عصبية ... فتحت ازرار القميص لاشاهد النهدين المشدودين من فرط النشوة ... و

- استاذ مدحت

انتفض جسدى وانا اخرج من ذكرياتى لألتفت الى مصدر الصوت

لاجد هند تقف امامى ممسكة بالصينية ، وتنظر اليّ في حيرة

تململت في جلستى في حرج بعد انتشلتنى عند تلك النقطة وامسكت بقدح القهوة لارشف منه رشفة صغيرة واضعها على المائدة الرخامية التى امامى :

- ماذا عن اخبارك يا هند ... اخبريني

ابتسمت هند وهي تقول :

- لا شئ ، اننى في العام الاخير من الجامعة ، ادرس في علم الاثار واكمل دراستى في مجال الكمبيوتر

نظرت اليها متأملا ملامحها قليلا ثم سألتها :

- وماذا عن حياتك العاطفية

اتسعت عينا هند للحظات وهي غير مستوعبة للسؤال ، وشعرت بالحرج الشديد يعتريها فاطلقت ضحكة صافية لتلطف الموقف قليلا وانا اغمزها بعيني قائلا :

- لا تقلقى ، لن اخبر احد بالأمر ....

ابتسمت هند في خبث وهي تقول :

- بالطبع لن تقدر ، بعد قصة الحب الطويلة التى كانت بينكم

ارتفع حاجبى في دهشة ، فلم اكن اتوقع انها كانت تدرى بذلك التاريخ الحافل وذلك الحب الذى كان مضربا للامثال بين مراهقين الحارة .

وشهدت جدران البناية قصة العشق ، التى انتهت برفض اباها المريض (بمرض عضال في الكلية) بانه لا يقدر ان يتركها دون ان يطمئن عليها قبل وفاته خصوصا بعد رحيل والدتها :

- استاذ مدحت ، الى اين ذهبت ؟

قالت هند تلك العبارة وهي تطلق ضحكتها المجلجلة في الردهة وهي تغمز بيعينها هي الأخرى قائلة :

- يبدو انك سافرت بعيدا

ابتسمت وانا التقط قدح القهوة ، ليرتجف الفنجال في يدي وانا احاول ان اهدئ من اعصابي وفجأة ارتفع صوت جرس الباب بطريقة خاصة

طريقة اسراء

فنهضت هند من مقعدها وهي تبتسم في خبث مجددا لتخبرنى :

- لقد وصل الحب القديم

واسرعت تفتح الباب وتركتنى خفها وقلبي يخفق في عنف

****

فتحت هند الباب ولكنى اجرؤ على الالتفات لاشاهد اسراء بعد ان سمعت صوتها ، وشعرت بالبرودة في مقعدى وانا احاول السيطرة على جسدى الذى بدأ في الارتعاش الكامل

ولم تخبرها هند باني موجود . ولكنى خمنت ان اسراء شاهدت رأسي البارزة من الكرسي وسمعت صوتها وهي تخبر اختها في عتاب :

- هل يوجد لدينا ضيوف يا هند ولم تخبريني ؟

واستدارت حول المقعد واطلقت شهقة قوية وهي تضع يدها على صدرها وعيناها المتسعتين

تأملتها في صمت ، وخفقات قلبي تعلو ، حتى اننى تخليت انها تستمع اليها فعلا حتى جاءت هند وهي تبتسم في خبث ماكر وهي تقول لأختها الكبرى :

- نسيت ان اعرفك ... استاذ مدحت ... هذه اسراء يا استاذ مدحت

ساد الصمت ايضا بعد عبارتها فتنحنحت في حرج لأكسر الصمت وانا اسألها :

- كيف حالك يا اسراء

ارتفع حاجبا اسراء في تأثر وهي تمد يدها لمصافحتى فوضعت قدح القهوة في سرعة وانا اقف لامد يدي في سرعة لاصافحها

وتلامست اناملنا ، وسرت قشعريرة لذيذة في جسدى لثوان ، وتركت هي يدها في يده برفق وطال صمتنا ونحن ننظر الى بعضنا البعض

حتى تنحنحت هند بدورها من جديد وهي تقول في حرج :

- سأترككم بمفردكم ، لدى العديد من الامور لانجزها قبل ذهابي الى الجامعة .

واسرعت تختفى داخل احدى الحجرات وهي تحمل الطفلة ، وظللنا كما نحن ، لم نلتفت الي هند ولا الى الصياح التى اطلقته الصغيرة وهي تصيح معترضة على اختطافها من وسط العابها

جلست اسراء على المقعد المجاور لي ، وجلست اتأملها طويلا حتى تخضب وجهها بحمرة الخجل ، فاسرعت اتمتم آسفا :

- معذرة

هزت رأسها نافية وهي تشير الى لأتناول باقي الكوب قبل سألتنى اسراء في صوت ناعم وخافت

- كيف حالك يا مدحت ؟

تنهدت وانا اجيبها :

- في خير حال ... المهم ماهى اخبارك ؟

لمعت دمعة صغيرة في عينها وهي تزفر مجيبة :

- انا بخير

عاد الصمت يلف المكان من جديد ، حتى هزت اسراء رأسها في قوة وكأنها تنفض افكارها لتسألنى :

- مالذى أتى بك الى هنا اليوم

ابتسمت وانا اجيبها :

- لا ادرى ، كان الامر في البداية عبارة عن مشاجرة بيني وبين منـــ ....

وبترت عبارتى فجأة وكأننى ان الوقت لا يناسب ذكر اسم زوجتى

فابتسمت اسراء وهي تجيبني في مرارة ملحوظة :

- اعرف انك متزوج يا مدحت ، واعرف انك لم تستطع الانجاب لفترة طويلة من الزمن حتى زرقك الله بطفلك ساري

رفعت حاجبي الايمن وانا اسألها بسرعة :

- كيف عرفت كل هذا

اطرقت اسراء برأسها قليلا ثم اجابت :

- بعد انتهاء اجراءات الطلاق بيني وبين زوجى السابق ، عدت الى هنا لأمكث مع شقيقتى هند ، وكنت دائما ما ترسل في طلب بعض اوراقك القديمة من منزلك ، ولم يكن عم حسن البواب يعرف اين هي اغراضك ، فكنت اجمع له ما هو مطلوب منه ، وكان دائما ما يبلغنى بأخبارك دون ان اسأل ، وكنت سعيدة بمعرفة ما يدور حولك

ثم صمتت قليلا ، وبدأت اشعر برعشة جسدها ، فترددت قليلا

ثم مددت يدي لأرفع وجهها لاشاهد دمعة ساخنة تسيل على خدها الايمن ، فأنقبض فؤادى وتمنيت ان اضمها الى صدرى كما كنت افعل فيما مضى ...

ولكنها نهضت فجأة وهي تمسح دمعتها في سرعة لتسألنى

- هل ستتناول الغذاء معنا ، اننى سوف أعد اليوم طبقك المفضل

اعترضتها في سرعة :

- كلا يا اسراء ، لن اقد...

قاطعتنى في حزم :

- هذا امر ، اذهب لتسترح في شتقك قليلا وسوف ادق عليك الجرس عندما انتهى من طهى الطعام

وأسرعت الى الطاولة المقابلة لباب الشقة لتلتقط تلك الاكياس من على الطاولة وهي تصيح في لهجة مرحة :

- امازلت هناك ، هيا اذهب واتركنى لعملى الآن

وتركتنى بمفردى في ردهة المنزل كالمسحور ، ثم التقطت جهاز المحمول الخاص بي وتحركت الى باب شقتى

وما ان اغلقت الباب ، بدأ احساس من نوع آخر يغمرنى

ويكتنفنى من رأسي وحتى اخمص قدمى

احساس غامر بالفرحة ...

والغريزة ...

*****

توقفت لدقائق في الردهة وانا اتأملها في صمت

ثم اسرعت الي غرفتى لاخرج منها احدى ملابسي القديمة وانا اتأملها مبتسما ، ثم انتقيت جلبابا فضفاضا ، وخرجت من الغرفة الى حمام المنزل العتيق ، ومددت يدي لأشعل المصباح لأدخل سريعا تحت رذاذ الماء الفاتر وانا ادندن بأحدى الاغانى التى اعشقها للمطرب الراحل (عبد الوهاب)

شعرت مع الوقت كأنى ازيل كل الشظايا من حياتى وانا اقف تحت الماء ، حتى فرغت تماما وانا امسك بالروب الابيض القطنى وارتديته واتأمل جسدى في المرآة ضاحكا

فقد بدا قصيرا وصغيرا على شكل مضحك وخرجت الى غرفتى لأرتدى ملابسي في سرعة

وانظر الى المرآة متأملا وجهى وشعرى المبلل

ولسبب ما ، بدأت اتأمل الشعيرات البيضاء التى بدت مبعثرة على جانبي فودي طويلا ، ثم بدأت تصفيف شعرى في عناية

حتى انتهيت فاستدرت الى مكتبتى الضئيلة بركن الحجرة بعد ان فرغت معظم محتوياتها التى قمت بنقلها الى منزلى ملتقطا احد قصص الخيال العلمى المحببة الى نفسي ، وجلست اقرأها في حماس غريب

حتى دق جرس الباب

فاعتدلت في حدة ، وانا انظر الى القصة والى الباب في حيرة ، ثم القيت بالرواية على الفراش لأنهض متجها الى باب الشقة فتعثرت باحدى الكراسي بشكل غريب وسقط على الأرض متعثرا في ضجيج عالى .

وتوقف جرس الباب للحظة ، وسمعت طرقات اسراء على الباب وهي تصرخ :

- مدحت ، هل انت بخير

اجبتها في صوت عالى وانا احاول النهوض من سقطتى :

- اجل انا بخير ، لقد تعثرت في الكرسي اللعين

وترنحت من فرط الالم وانا اذهب الى الباب لأفتحه واشاهد وجه اسراء يظهر من خلف الباب وهي تهتف في قلق :

- هل انت بخير

اشرت الى الكرسي في غيظ وانا اتمتم بكلمات لم افهمها :

فابتسمت في حنان وهي تضع يدي على كتفها وهي تساعدنى للوصول نحو اقرب كرسي صادفها لتجلسنى في رفق وانا اتأملها ، وجلست الى جوارى ، وشعرت بعطرها يلفحنى في حرارة وهي تقول في خفوت :

- هل تريد الذهاب الى الطبيب ؟

ضحكت وانا اشير لها ان الامر لا يستدعى حضور الطبيب ، فتأملتنى قليلا ثم مدت يدها تتحسس خذى وهي تهمس :

- هل احضر الطعام الي هنا ؟

سرت قشعريرة صغيرة في جسدى من لمستها وان انظر اليها طويلا متأملا عينيها في حب واضح ثم اجبتها في صوت غير مسموع :

- المكان هنا غير مناسب

اومأت برأسها ونهضت وهي تمد يدها الي ، ولكنى اعترضت في حرج وقد أبت رجولتى ان استند عليها للذهاب الى شقتها ، ونهضت وانا اخفى الألم واشاهدها تتأملنى في دقة ثم اجابت في بساطة وهي تسبقنى الى الباب :

- هيا بنا اذن قبل ان يبرد الطعام .

دخلت الى شقتها في سرعة واغلقت انا باب شقتى ، ودخلت الى الشقة وانا اغلق الباب في توتر لأجلس على مائدة الطعام في نهاية الردهة لأتأمل جميع الاصناف وانا اتسائل كيف استطاعت ان تحضرها في هذا الوقت القصير ، حتى سمعت صوت اقدامها وهي تضع طبق الحساء المفضل لدي وتجلس الى جوارى

فتململت في مقعدى وانا اتسائل :

- ألن تشاركنا هند الطعام

هزت رأسها نافية وهي تجيب :

- لقد غادرت مسرعة للحاق باصدقائها ، لتسليم احد ابحاثها اليوم

تسائلت مجددا :

- وابنتك ؟

نظرت اليّ اسراء للحظات ثم اطلقت ضحكة طويلة :

- انها نائمة يا مدحت

ابتسمت في حرج وكأني طالب بليد وبدأت في تناول الطعام ، وكانت اسراء تصر اثناء تناولى الطعام ان تطعمنى بيدها بين الفينة والفينة ، وهي تحلف انه يجب ان (لا اكسف يدها) ، دون ان امنع عيني ان يقعان بين فترة وأخرى على صدرها البارز امامي

حتى انتهيت ولكنها اصرت ان تطعمنى بيدها قطعة من الدجاج المحمر ، فالتقطها بفمى وانا انهض بسرعة لأدخل الى الحمام واغسل يدي ، وذهنى يعمل في سرعة لأقرر ماذا سأفعل بعد قليل ، وقد بدأت اشعر بضرورة مغادرتى لهذا المنزل واغلقت الصنبور في عصبية وانا ابحث عن شئ لأنشف يداي المبلولتين

فخرجت بخطوات سريعة وانا اهم بمناداة اسراء ، وإذا بي أجدها تقف امامى مباشرة وهي تحمل منشفة بيضاء ، مزينة بوردة حمراء وهي تبتسم قائلة

- ها أنا ذا

تأملت المنشفة في صمت وانا اقترب منها لأتناولها وامسح يدي في بطء ، فقد كانت تلك المنشفة من صنع يدها ، منذ ان كنا سويا ... منذ زمن بعيد

ثم زفرت في قوة وانا ألقى المنشفة على الكرسي المجاور لي وانا التفت الى اسراء وارفع ذراعى تجاهها قائلا :

- أشتقت لك يا اسراء ، اشتقت لك كثيرا

وبدون مقدمات التقطها بين ذراعى ، واحسست بدفئها وانا اتحسس شعرها الناعم

فانحنيت كالمسحور على شفتيها الرطبتين لأطبع قبلة طويلة ، حملت كل ما اخفيه من حب واشتياق ولوعة ، واحسست باشياقها هي الاخرى في احضانى وهي تضمنى اليها في قوة

وفجأة علت صوت شهقة مفزعة انتفقض لها جسدى ، وابتعدت اسراء عنى في عنف وانا التفت الى مصدر الصوت

لاجد شقيقتها الصغرى هند تقف عند باب المنزل متسعة العينين وهي تضع يدها على فمها غير مصدقة

ليشتعل الموقف .

وبشدة .

****

تجمد الموقف لعدة دقائق وهند تنقل بصرها بيني وبين اختها الكبرى اسراء ، ثم تركتنا واندفعت مسرعة الى غرفتها وتساقطت بضعة الاوراق من حقيبتها

والتقت نظراتنا انا واسراء في صمت ، ثم همست في حزن منكسر :

- اعتذر يا اسر ...

قاطعتنى في هدوء وهي تضع اناملها على شفتي قائلة :

- لا تعتذر ، نحن لم نقم بشيئ يستحق الاعتذار

انعقد حاجباى وانا اتأملها في تأن ، ثم تحركت في خطوات مرتبكة الى المائدة لألتقط سلسلة مفاتيحي الخاصة مع هاتفى المحمول وانا اتجه الى باب المنزل فهتفت بي قائلة :

- هل ستغادرنا الى منزلك الليلة ؟

وقفت في مكانى قليلا ثم التفت اليها لأشاهد قسمات الحزن التى بدأت ترتسم على وجهها الجميل فاجبتها بسرعة :

- كلا ، لقد تركت المنزل أثر شجار نشب بيني وبين زوجتى

ابتسمت اسراء ... وابتسمت لابتسامتها ...

وغادرت المكان في سرعة ، ودخلت الى شقتى

وخلعت القميص والقيته في اهمال على الكرسي المقلوب أثر تعثرى به ، ودخلت الى حجرتى ملقيا بجسدى على الفراش لاشرد ببصري في السقف الحجرة في صمت ... وذهول

كان عقلى منهكا بحق بعد رؤية هند وهي تشاهدنى وانا أقبل اختها الكبيرة وانا اشعر بدقات قلبي التى لم تهدأ بعد ، وتذكرت كلمات اسراء

اننا بالفعل لم نفعل شئ يستحق الاعتذار ، بعد كل هذه السنين .

بعد كل هذا الفراق ، بسبب تعنت الآباء ، تركونا نتعثر في دروب الظلام ، بكل قسوتها وهم يظنون انهم يقوموا بدورهم لحمايتنا

بعد ان قام والدي بممارسة سلطانه وقسوته علي ، وعلى زواجى أيضا ، ورحل تاركا اياي منغمسا في نجاحات وهمية لا اعرف لها طعما ولا رائحة

ووالد اسراء الذى رفضنى لضعف حالى عندما تقدمت اليها حينذاك وهو يصر انه لن يتركنى اتزوجها قبل ان اجهز شقة فاخرة بأسمها في احد احياء القاهرة الراقية ، فهو لم يتبقى له من العمر الكثير ، ويجب ان يطمئن على ابنته البكر ....

وافترقنا عن بعضنا ، وانجبنا الاطفال وانشغلت في حياتي ، ولكن لم انسى يوما ما همساتها وحضنها الدافئ

لم المس جسد زوجتى يوما دون ان اتذكرها ، لم اضع راسي في صدر زوجتى الا بعد ان استحضر صورتها ، و لم اشعر بالسعادة سوى عندما اتخيل اننى في احضان اسراء ، وليست منال ، حتى اتغاضى عن ذلك التمثيل الردئ التى تقوم به زوجتى على الفراش وهي متصورة انها ترضي رجولتى بتلك التأوهات الكاذبة

زفرت في ضيق شديد ، وتحسست الدمعة التى ذرفتها عيني اليسرى في صمت وكأنها تنفس عن نفسها دون ان يأذن لها عقلى ، فتأملت اصابعى ثم مسحتها في الوسادة وانا اغمض عيني . واغط في نوم عميق لم اشعر به منذ سنوات

حتى شعرت بالقلق على صوت اذان الفجر الذى شق سكون الليل ، ففتحت عيناى في كسل وانا اتجسس جسد زوجتى وعدت اغمض عيناي

وفجأة !!

قفزت من الفراش وانا اضئ المصباح

لأقف وانا ارتعش في وسط الحجرة

فقد كانت جسد اسراء هو الذى يراقد على الفراش في قميص نومها

إلى جوارى ...

****

مضت دقيقة كاملة وانا اتأمل جسدها الابيض وهي ترقد كالملائكة في الفراش ، وانا احاول ان اعتصر ذهنى

فقد كنت متأكد من انى قد وصدت الباب جيدا ، جتى عجزت قدماى على حملى وسقطت على الكرسي

مضى وقت طويل وانا اتطلع اليها ، واتأملها حتى تثائبت في شكل جميل وهي تفتح عيونها وهي تتملل وتنظر الي مبتسمة :

- صباح الخير يا حبيبي

سألتها في حدة

- ماذا حدث يا اسراء ؟

اعتدلت بنصفها العلوى وهي تقول في توتر :

- ماذا تقصد ؟

اشرت اليها بانفعال وانا اتسائل مجددا :

- ماذا حدث بالضبط الليلة الماضية

زادت ابتسامتها اتساعا وهي تجيبنى :

- لم يحدث شئ

ارخيت ذراعى وبدأت اسيطر على مشاعرى وانا اتأمل صدرها الواضح ، ثم هززت رأسي وانا اسألها :

- كيف دخلت الي هنا ؟

التقطت مفتاح صغير كان على الطاولة المجاورة للفراش وهي تقول :

- لقد اعطانى عم حسن مفتاح الشقة منذ ثلاثة اشهر

انعقد حاجباي للحظة وانا لا اجد تفسير سوى ان البواب الكسول قد اراح ذهنه من عناء البحث المتواصل عن اغراضى وقد اعطى المفتاح للجيران الذى يعلمون كل شئ ، فزفرت في قوة وانا ارفع رأسي اليها متسائلا :

حتى عادت اسراء واسترخت في الفراش من جديد ، وهي ترفع ذراعها وهي تدعونى الى الفراش فتصاعدت ضربات قلبي في قوة وانا انظر اليها طويلا :

حتى هتفت في مزيج بين العتاب والدلال :

- هل ستتركنى وحدى هكذا طويلا ؟

وكانت هذه هي كلمة الحسم فحزمت امرى ، والقيت كل افكارى خلفى وانا انهض لارتمى في احضانها الدافئة بكل اشتياق ولهفة ، وانغمسنا في قبلة عشق طويلة لم ننسى مذاقها منذ زمن .

وداعبت عنقها باناملي وانا اقبله حتى دنت من شفتيها آهة صغيرة مكتومة ، وتخلصنا من ملابسنا كالمجانين لنحتفى بلقاء دام انتظاره الكثير

وفي خارج المنزل .

دوى صوت الاقامة لصلاة الفجر .

وبداية صفحة جديدة من صفحات الخيانة .

خيانة زوجين ... ولقاء عاشقين .

****

انتهى لقاؤنا بعد ساعة كاملة

أحسست بعدها بسعادة غامرة ، لم أشعر بها قط من قبل ، ومددت يدي أمسح العرق الذى يتصبب من جبيني وأنا ألقى بجسدى على الفراش جوار حبيبتى وأنا ألهث في قوة.

وأغمضت عيني في استمتاع ونشوة حتى شعرت بجسد إسراء وهي تضع رأسها على صدرى وتداعب بطنى بأناملها وبهمسها الجميل ، ولكنى كنت أسقط في بئر عميق الارهاق وغمغمت بكلمات غير مفهومة ، ثم اكتنف اللون الأسود كل شئ .

ومضى الوقت دون أن أشعر بشيء ، حتى أفقت على هزات خفيفة من يد إسراء، وفتحت عيني في كسل وأنا أتثاءب ثم ابتسمت وأنا أشاهد ابتسامتها الجميلة وهي تقول :

- ألن تستيقظ لتذهب إلى عملك ... أم أنك لا ترغب في الذهاب؟

مددت إليها يدي لأمسك يدها وقربتها إلي فمي لأطبع قبلة على اصابعها ثم سألتها في خمول :

- كم الساعة الآن؟

أجابتني في دلال :

- الواحدة ظهرا

حدقت في وجهها في رعب ثم قفزت اختطف ملابسى في سرعة ، بعد ان تذكرت موعد الاجتماع الشهرى في تمام الساعة الواحدة والنصف ولوحت بيدي مودعا في سرعة وأنا أفتح باب الشقة لأقفز درجات السلم في سرعة وأستقل سيارتى وأنطلق بها مسرعا بين شوارع العاصمة

تاركا إسراء ، في حجرتى

التى نهضت لتبدأ حملة التنظيف داخل الحجرة وتبدأ بذلك الصندوق الذى يحوى جميع ذكرياتى

وتحققت المعجزة بوصولي بعد نصف ساعة فقط وأوقفت سيارتى في مكانها المخصص أمام تلك البناية الخاصة بالشركة ، ثم قفزت من السيارة وأنا ألتقط حقيبتى من المقعد الخلفى وأنا أتحرك بنشاط ملحوظ وغريب

حتى اقتحمت غرفة الاجتماعات بابتسامة عريضة قائلا :

- أعتذر عن التأخير

نظر مدير العلاقات العامة إلى الساعة وقال لي

- لم تتأخر على الاجتماع يا مدحت

كست الدهشة الحقيقية ملامحى وأنا ألقى نظرة خاطفة على الساعة الكبيرة المعلقة على جدار غرفة الاجتماعات وبالفعل ، وجدت أننى وصلت في موعدى ، وللمرة الأولى

فاتخذت مقعدى ... والفكرة لا تفارق رأسي، هل هذا التغير بسبب إسراء

أم بسبب الخيانة ...

الفصل الثاني

انقضى الاجتماع بدون أن اشعر بالوقت، وقمت بمراجعة الأوراق والمفكرة الخاصة التى دونت عليها أهم ملاحظات الاجتماع، وغادرت الغرفة متجها إلى مكتبي، وما إن رأتنى السكرتيرة الخاصة حتى قفزت من مكتبها وهي تعطيني البريد الخاص بي وهي تخبرنى أن زوجتى منال قد اتصلت ثلاث مرات وهي تريدنى الاتصال بها للضرورة

نظرت إليها دون إجابة، وأومأت برأسي لأدخل إلى مكتبي وأغلق الباب وأنا ألقى بالحقيبة على الأريكة المواجهة للمكتب، ثم التففت حول المكتب لأجلس خلفه وأنا أسند ذقنى على يدي محدقا بالهاتف

حتى غرقت في بحر الأفكار ...

فقد كانت الأحداث تتوالى في سرعة لم أعهدها في حياتى الرتيبة، ولم يسبق لى أن شعرت بكل هذا النشاط بعد تلك الليلة التى أمضيتها مع إسراء ...

واليوم، تبلغني السكرتيرة بأن زوجتى قد اتصلت بي ثلاث مرات متتالية، وتعد هذه السابقة الأولى منذ أول يوم في زواجنا

لم ألبث سوى أن التقط نفسا عميقا، وأطلقه في تنهيدة حارة وقوية، ثم التقطت سماعة الهاتف لأتصل بأرقام منزلى في سرعة، حتى أجابت منال متسائلة عن المتحدث فأجبتها في سرعة

- إنه أنا يا منال ... مدحت ، مالأمر

هتفت في سرعة وقلق :

- مدحت ، أين كنت ... لقد اتصلت بك ثلاث مرا ....

قاطعتها في ضجر بعد أن عرفت من صوتها أنه لا شيء يدعو للقلق :

- هل كل شئ على ما يرام؟

أجابنى الصمت لفترة طويلة حتى قالت في نبرة من الرجاء :

- هل ستعود إلى المنزل اليوم؟

تسرب القلق إلى أعماقى، فقد كانت المرة الأولى بحق التى أجد فيها زوجتى ناعمة ومنكسرة بهذه الطريقة ، ولكنى أجبتها في النهاية بصوت متحشرج :

- بالتأكيد

أجابتنى بصوت أكثر همسا :

- سأنتظرك

أغلقت الخط ، وظللت متسمرا وأنا أسمع صوت الهاتف بعد إغلاق الخط، ثم أغلق الخط أنا الآخر، وأنا أشعر بأن الأيام القادمة ستحمل الكثير .... والكثير جدا

*****

دقت الساعة معلنة تمام السادسة مساء نفس اليوم ، حيث توقفت أمام منزلي ومازالت الفكرة تسيطر علي منذ مكالمتى مع زوجتي منال

لكنى نفضت كافة الافكار وأخرجت الهاتف المحمول لأتصل برقم إسراء بعد أن حفظتها باسم رجل حتى أتجنب أصابع زوجتي التى تبحث في كل مكان كما أتصور بدأ قلبي في الخفقان عندما سمعت تلك الأغنية من على الجانب الاخر حتى جاء صوتها الحالم

- مدحت
- يا حبيب مدحت ، كيف حالك ؟
- أنا بخير، ماذا عنك؟
- أوحشتني
- أنت أيضا

ساد الصمت قليلا، حتى هتفت إسراء في لهفة

- متى سأراك ؟

صمت قليلا وأنا أتطلع إلى البناية ثم أجبت

- قريبا يا إسراء، قريبا جدا

وأغلقت سماعة الهاتف وأنا أقفز من السيارة في حزم وقد اتخذت قرارى ، وأسرعت الخطى إلى شقتي في الدور الرابع ، لأبدأ الفصل الجديد من حياتى الزوجية ...

وأهداب الخيانة

****

طرقت الباب عدة طرقات متتالية دون أن أستخدم مفتاحي الخاص وسمعت صوت أقدام ابنتي وهي تقترب في سرعة من الباب ، فارتسمت ابتسامة تلقائية وسريعة وأنا أشاهد وجهها الجميل الذي ظهر من خلف الباب ، وهي تتقافز في طفولة وبراءة جميلة ، فالتقطتها بين يدي ورفعتها عاليا لتتعالى معها ضحكاتها الصافية وفي دورة كاملة ضحكت معها كالطفل الصغير وقد نسيت كل ما مررت به ثم أنزلتها على الأرضية وأنا أطبع على رأسها قبلة حنونة.

وسمعت صوت زوجتي يأتي من خلفي قائلا :

- حمد لله على سلامتك

التفت إليها في سرعة وتفحصتها في سرعة وأنا أكتم دهشتي، فقد كانت مختلفة في كل شيء ...

في ثوبها الأنيق وزينتها على غير العادة ، وحتى لهجتها ، ونظراتها المشتاقة ...

وكمعالجة سريعة للموقف ، ارتسمت على شفتي ابتسامة سريعة وأنا أضع سلسلة المفاتيح وجهازي المحمول على المنضدة كالمعتاد ، وتعمدت عدم الاقتراب منها وأنا اخبرها أنى في حاجة إلى حمام ساخن، فأومأت برأسها متفهمة وهي تجيبني في همس عجيب :

- لقد سبق وحضرته من أجلك

توقفت وأنا في طريقي إلى الحمام والتفت إليها أتأملها من جديد، محاولا فهم كل هذه المعطيات الجديدة دون جدوى، حتى تمتمت في سرعة واقتضاب:

- شكرا

ثم دخلت في خطوات سريعة أشبه إلى القفز باتجاه الحمام وأغلقته لأدور ببصري في المكان، وأراقب الشموع الجديدة بجانب المغطس وهززت كتفى وأنا أطلق كل توترى في زفرة طويلة وانا أتجرد من ملابسي ، وأستلقي في هدوء لأعيد ترتيب أوراقى في روية وحذر ... ورغبة ...

****

مضت ساعة كاملة ، حتى تمكنت من تصفية عقلي المكدود ، وقد قررت أن أستمر في حياتى كما هي ، من أجل صغيرتي ومنزلي ، حتى لا تعانى من الصراع الذى طالما عانيت منه في حياتى، وخصوصا أننى قد وجدت حبي الأول ، ومتنفسي خارج البيت .
ابتسمت في المرآة عندما وصل تفكيري عند تلك النقطة، ومشطت شعري في عناية .

وخرجت وأنا أهتف باسم زوجتي ووجدتها تتحدث في الهاتف، وقد اعتراها الانفعال عندما وجدتنى أمامها وأنهت المكالمة في سرعة وهي تجيب :

- أجل يا حبيبي

دب الشك في عقلى فجأة وأنا أهتف في حدة غاضبة :

- ماذا هناك، ومع من كنت تتحدثين ولا تريدينى أن أعلم؟

قفزت منال من الكرسي وهي تجيب في سرعة لا تخلو من التوتر :

- لاشئ يا مدحت، لقد اعددت لك الطعام.

وتحركت بسرعة باتجاه المطبخ، لكنى أمسكت بمعصمها في قسوة وأنا اجذبها نحوي لأنظر مباشرة في عينها قائلا في صرامة :

- تعالي إلى هنا وأجيبيني، مع من كنت تتحدثين؟

تأوهت منال في ألم وهي تقول :

- مدحت، ماذا جرى لك ؟ أنت تؤلمني

تركت معصمها في حركة مباغته فأمسكت به وهي تحدق بي ثم ترقرقت الدموع في مقلتيها وهي تجيبنى في صوت متهدج :

- إننى كنت أفضل أن تصبح مفاجأة سعيدة من أجلك يا مدحت، إنه عيد زواجنا وقد أردت أن أعد الحفلة من دون معرفتك كاعتذار لما سبق

وانهمرت دموعها وهي تغادر الردهة لتتركني واقفا أحدق في مكانها الذى كانت تقف فيه .... كالأبله.

****

انسدل الليل بأستاره السوداء، لأجلس في شرفة المنزل أرتشف قدح القهوة الذي اعتدت عليه في هدوء وأنا استمتع بنسمات الهواء لأتطلع إلى النجوم وكأنى أراها للمرة الأولى

كنت مازلت تحت وقع المفاجأة التى جهزتها منال من أجلى، ومازالت التساؤلات تملأني وتعصف بأفكاري

فهل من الممكن أن تتغير زوجتي لمجرد أنني تركت لها المنزل بهذه السرعة وأن تسعى لإرضائي ، وأن تعد الحفل لعيد زواجنا الذى لم نحتفل به من قبل، أم أنها في حالة نادرة للتغير ، بخلاف الشعور بالذنب الذى يساورنى بعد التفكير في إسراء، وهل يصبح إرضاء زوجتي هو الخيانة ، زفرت مجددا في ضيق وأنا أضع القدح من يدي، واستغرقت في تفكير عميق حتى ارتفع أزيز الهاتف من على الطاولة، فالتقطته في سرعة لأجد رقم إسراء.

فنظرت حولي لأرى مكان زوجتى ووجدتها أمام جهاز التلفاز تتابع مسلسل المساء، فالتقطت الهاتف ونهضت من الكرسي لأقف في مكان يتيح لى أن أرى حركة زوجتي دون أن تلاحظني، وجاء صوت إسراء مفعما بالقلق عبر الهاتف قائلة :

- مدحت ، هل أنت بخير ؟

أجبتها في سرعة :

- أجل أنا بخير

تنهدت إسراء في ارتياح وهي تسألنى :

- ولم تأخرت حتى الآن، ألن تأتى اليوم ؟

ترددت قليلا ثم أجبتها :

- إسراء، يبدو أنني لن أستطيع أن أحضر اليوم

أجابني الصمت لعدة ثوان حتى سألتنى :

- هل سببت لك المزيد من المشاكل يا مدحت؟

أجبتها في سرعة :

- كلا، مطلقا يا حبيبتي، إنني فقط متعب اليوم، كما أنني في حاجة لأن أكون في مكتبي غدا صباحا في موعد مبكر لإنهاء بعض الأمور

ثم صمت قليلا لأتابع :

- ولكنى سأمر عليك بالتأكيد في الغد

جاءني صوتها في فرحة :

- حسنا يا حبيبي، سأنتظرك

وأغلقت الخط ، ووضعت الهاتف في جيبي لأغادر الشرفة وأتخذ مقعدا على الأريكة بجوار زوجتي التى نظرت إلي في عتاب واضح، فابتسمت لها وأنا أمد إليها ذراعى فتأملتني لثانيتين، ثم اقتربت مني ووضعت رأسها على صدرى لتهمس :

- أشتقت اليك كثيرا

ليتعانق بعدها الجسدان ... مجددا

*****

استيقظت على صوت المنبه في الصباح الباكر، ومددت يدي في كسل جميل وأنا أكتم صوته المزعج وتثاءبت في بطء وأنا أتأمل زوجتي وهي تنام بجواري ووجها مضيء مثل الملائكة بعد ليلة حب طويلة لم نعشها سويا منذ زمن ...

ابتسمت وأنا أداعب وجنتيها بأناملي، واستيقظت هي وابتسمت في وجهي، وطبعت قبلة سريعة على شفتيها لأخبرها :

- ألن توقظي صغيرتنا لكي تذهب إلى المدرسة

أومأت برأسها وهي تتمتم بكلمات لم أفهمها ، ولكني غادرت الفراش وشرعت في تبديل ملابسي بسرعة وأخرج مسرعا إلى حجرة المكتب لأجهز بعض الأوراق التى يتوجب علي مراجعتها بعد

اجتماع البارحة، والتقطت بعض الأوراق وأضعها في الحقيبة في سرعة، وعندما خرجت وجدت زوجتى تضع قدح الشاي المعطر برائحة النعناع وهى تقول لي :

- إلى أين، ألن تتناول هذا الكوب ... لقد جهزته من أجلك خصيصا ؟

وقفت أتأملها من جديد، وبدأت أشعر بقلبي وهو ينبض من جديد من أجلها ، وابتسمت وأنا أسألها :

- هل استيقظت غادة؟

أجابني صوتها الطفولى وهي تركض من خلفي :

- أنا هنا يا أبي

استدرت إليها وأنا أجدها تقف بجانب الباب وهي تفرك يديها بتلك الطريقة التى تعنى أنها تريد أن تطلب شيئا ، فاطلقت ضحكة صافية وأنا أتناول القدح وأترك الحقيبة على الطاولة وأتوجه إلى الصغيرة قائلا :

- مالذى دهى أميرة قلبي، ماذا تريدين ؟

خفضت الصغيرة رأسها في حرج وهي تقول :

- أريدك أن تقلني إلى المدرسة

ابتسمت وأنا أسألها :

- ولماذا؟

أجابتني في فخر :

- حتى يرى أصدقائي سيارتك

ضحكت منال في صوت عالٍ وهي تقول :

- يبدو أن ابنتك قد أخذت أول صفاتك، الاهتمام بالمظاهر

تأملت الصغيرة وأنا أتحسس شعرها ثم هتفت :

- سأوصلك يا غادة إلى المدرسة

قفزت الصغيرة في فرحة وهي تقول لأمها :

- هل ترين يا أمي، لقد كسبت ... أبي سيوصلنى الى المدرسة

ارتشفت رشفة كبيرة من قدح الشاي وأنا أشير لها أنني أهم بالانصراف فلحقت بي منال وهي تقول :

- سوف أقوم بالاتصالات المتبقية مع باقى الأصدقاء لأدعوهم إلى حفل زواجنا

فتحت باب الشقة وأنا ألتفت إليها لأتأملها من جديد، لأبتسم مجددا وأنا أجيبها :

- عيد زواج سعيد يا منال

وغادرت المنزل

إلى يوم جديد ... وأحداث جديدة من أهداب الخيانة

*****

أوصلت غادة إلى مدرستها ، وتعمدت أن أقف بالسيارة أمام باب المدرسة لأترك الفرصة حتى تذهب إلى أصدقائها وتشير إلى السيارة لتريهم أنها سيارتي، وأحسست بالفخر من أجلها ومن أجلي ثم انطلقت إلى العمل ...

واستغرقت به حتى النخاع في الأوراق والخطط وتدوين الملاحظات حتى دق جرس الهاتف الداخلي، فالتقط السماعة في ضجر وأنا أهتف :

- ما الأمر يا سارة، لقد أخبرتك أنني لا أريد أي مقاطعة

أجابت السكرتيرة في ارتباك :

- إنها مكالمة من فتاة تدعى إسراء ولقد أصرت على الاتصال بك

تذكرت فجأة أننى قد أغلقت جهازي المحمول كعادتي قبل الانهماك في عملي فأجبتها في توتر :

- حسنا، مرري المكالمة

وكانت الدهشة تغمرنى فقد نسيت أمر إسراء تماما، وكأنها لم تكن في حياتى البارحة، فهل هذا يعنى أنها كانت نزوة فقط أم ماذا؟

أخذتني الأفكار حتى تدفق صوت إسراء بما يحمله من توتر في سماعة الهاتف

- مدحت، أين أنت؟ ألن تكف عن هذا العبث؟

أجبتها في هدوء :

- اهدئي يا إسراء حتى نستطيع أن نتحدث

أجابتني في حدة مباغته

- لماذا أغلقت جهازك؟

بدأ الضجر يدب في صوتى وأنا أجيبها:

- إننى في العمل ولا أحب المقاطعة دون أمر مهم

قاطعتني في ثورة :

- وهل أنا لست أمرا مهما بالنسبة لك

أجبتها في انزعاج :

- ماذا هناك يا إسراء .. اهدئى قليلا

ساد الصمت قليلا ثم قالت لي :

- أريدك أن تأتى حالا

هززت رأسي وأنا أجيبها :

- لن أستطيع أن أغادر المكتب في الوقت الحا ...

قاطعتنى إسراء في برود :

- لقد اتصلت بي زوجتك يا مدحت ...

وأغلقت الخط ...

****

لا ادرى كيف استطعت الانتظار حتى جاء وقت الانصراف من العمل، وانطلق غير مبال بالموظفين وهم يحدقون في وأنا أركض بين أروقة الطابق الذي أعمل فيه، وقفزت إلى المصعد بحركة لم أكن أتصور أنني قادر عليها وتعلقت عيناى بأرقام المصعد حتى انفتح باب المصعد ، لانطلق إلى سيارتي بكل ما أحمله من طاقة في قدمي وقفزت نحوها غير مبال بالعامل البسيط الذى يقوم بترتيب السيارات أمام المبنى، وأدرت المحرك وانطلقت بالسيارة في حدة فأطلقت إطاراتها صريرا مزعجا وأنا أجرى كالمجنون بين طرقات القاهرة المزدحمة، وفي أقل من أربع عشرة دقيقة كنت أقف أمام باب إسراء وأنا أطرقه في إزعاج كامل وأنا أحاول التقاط أنفاسي في صعوبة.

حتى فتحت أختها الصغيرة هند الباب وقد بدا على قسماتها أقصى انطباعات الانزعاج والخوف والقلق، ولكن ما إن وقع بصرها علي حتى هتفت في دهشة :

- أستاذ مدحت ، ماذا جرى ؟

لم أجبها مباشرة وأنا أندفع إلى داخل المكان وأتلفت حولي باحثا عن إسراء ولكن ما إن وقع بصري على شروق وهي تقف في ركن الردهة تحتضن دميتها في قوة وهي تنظر إلي في رهبة حتى تجمدت في مكاني والتفت إلى هند لأسألها وأنا أحاول أن أتمالك أعصابي ليبدو على الهدوء:

- أين إسراء يا هند؟

هزت هند كتفيها في حيرة وهي تجيبني :

- إنها في العمل، لقد استدعوها اليوم لتقوم بالترتيب للحفلة

اختلط علي الأمر لدقائق ثم هززت رأسي وبدأت الأفكار مشتتة في عقلي المنهك من التوتر والانهاك ثم سألتها في حدة :

- أية حفلة، ما هذا الهراء، ولماذا أغلقت هاتفها؟

انفجرت الصغيرة باكية من حدة صوتي ، وألقت علي هند نظرة مزدرنة وهي تتحرك مسرعة نحو شروق وتحملها في حنان، فدفنت الصغيرة رأسها في صدر خالتها وهي تبكي في صوت خافت، فهتفت هند في انزعاج :

- استاذ مدحت ، اسمح لي أن أخبرك أنك قد تعديت كل أصول اللياقة والأدب هنا

تراجعت خطوتين إلى الخلف وأنا أشعر بالحرج الحقيقي لتصرفاتى أمام الطفلة التى لم تتحمل انفعالي، فخفضت رأسي وأنا أتمتم في خجل :

- أعتذر يا هند، ولكن أختك تدفعني للجنون بحق

جلست هند على المقعد المجاور لها وهي تحمل الطفلة بعد أن توقفت عن البكاء وهي ترمقنى بنظرات مستريبة وساد الصمت المكان لدقيقتين، حتى أضاء مصباح ما إحدى الجوانب المظلمة في عقلى

فاندفعت نحو هند وأنا اسألها :

- هند، من هو زوج إسراء، لمن هذه الطفلة

حدقت هند في وجهى لثانية ثم أجابت :

- إنها طفلة اسراء و ...

قاطعتها في حدة:

- ومن يا هند .. طفلة من هذه

أجابتني في حدة

- ابنة حسن الصواف

وهنا فقط ، تخاذلت قدماي وسقطت على الكرسي المقابل لهند وأنا أحدق في وجه الطفلة

فقد كانت ابنة خطيب زوجتى ، السابق

وخصمى اللدود

****

الفصل الثالث

ساد صمت طويل ، حتى غطت الطفلة في نوم في أحضان هند أخت إسراء وحملت هند الطفلة لتضعها في فراشها.

أما أنا فقد كنت في دوامة طويلة على نفس الكرسي الذى لم اتحرك منه وأنا أتذكر تاريخا قديما ، لشخص يدعى حسن الصواف ، ابن رجل الأعمال المشهور محمد الصواف، الذي تم اتهامه في أحداث قديمة ..

فقد كان صاحب أشهر شركات توظيف الأموال، وكان يخفى أعمالا كثيرة غير مشروعة في الدولة ولكن علاقاته القوية كانت تخفى تلك الأمور دائما، وكانت نشأتهم عادية مثلنا جميعا، لكن حسن كان دائما يكرهني، لتفوقي الدائم في الدراسة عليه، وكنت ألاحظ دائما نظرات الحنق والحسد منه عندما يشاهدنى وأنا أمشي في الشارع برفقة إسراء، وكان دائم التحرش بها، ولكن بعد ذلك الثراء المفاجئ الذى أصاب والده، انتقلوا لإحدى الفلل بأرقى أحياء القاهرة، وكنا نسمع الأخبار من حين لآخر عن ابنه حسن الذي ألحقه والده بالجامعة الأمريكية، ثم جاء خبر فضيحة والده وهروبه إلى الخارج ، وانقطعت الاخبار عن محمد وولده منذ ذلك الحين ، وتقدمت بعدها إلى خطبة إسراء ... ورفضنى والدها ...

تاريخ غريب، ولكني لم أقدر على نسيانه أبدا ، وبدأت استنتج الخطوات بعد زواجى من زوجتى منال ... وتخيلت حسن وقد تقدم لخطبة إسراء، بالأموال المهربة إلى الخارج، وبالطبع لم يكن أمام والد إسراء سوى الموافقة وإتمام الزواج في سرعة ... والغريب أنني لم أفكر طوال ذلك الوقت، في مجرد الزيارة لمنزلي القديم، أو محاولة الاتصال بإسراء التى فقدت الأمل في الاتصال بي مرة أخرى بعد أن غادرت المكان دون رجعة ...

أفقت من افكاري علي صوت أقدام هند وهي تسير نحو الطاولة لتضع أمامي قدح القهوة في صمت ثم تتحرك في خطوات مضطربة لتتخذ مقعدا يبعد عنى قليلا

وبدأ الفضول يأكلنى لمعرفة صحة ما وصلت إليه فاعتدلت في مقعدى وأنا أسأل هند في هدوء حقيقي

- اعتذر يا هند عن تصرفي، ولكني في حاجة لمعرفة ماهو مصير حسن الصواف الآن

نظرت إلي هند في ارتياب ثم اجابتنى في اقتضاب:

- لقد غادر البلاد منذ أكثر من أربع سنوات ... وانفصل عن اختى وهو خارج البلاد، بعد أن حجرت الحكومة المصرية على باقى أملاك والده. ولا يعلم أحد عنه شيئا حتى الآن

التقطت قدح القهوة وأنا أرتشف منه رشفة صغيرة لأسألها قائلا :

- وماذا عن اختك، هل كانت سعيدة في حياتها معه؟

هزت هند رأسها في قوة وهي تقول :

- مطلقا، فقد كان يعاملها كالجارية، وكان يخفى في أعماقه انطباعات غريبة ولكنه كان شديد الدهاء والمكر في تصرفاته حتى ....

قطعت حديثها وهي تنظر إلى الأرض في مرارة وتعض شفتها السفلى ، وكنت أتحرق شوقا لمعرفة الأحداث ولكني انتظرت في صبر

وأكملت هند مستطردة

- حتى حاول ان يغتصبنى

******

اندفعت دموع هند في حرارة عند تلك النقطة ولم أقدر على فعل شيء، فقد شعرت بالذنب وكأنى أنا السبب في كل ما جرى لإسراء وأختها ... فلم أكن أدري ماذا أفعل .

حتى نهضت من على المقعد وأغادر المكان وأغلق الباب خلفي في هدوء، وأستقل سيارتي وانطلق على غير هدى في شوارع العاصمة حتى توقفت أمام كورنيش النيل

وغادرت سيارتى ووقفت اتأمله في صمت .

فقد أصبحت الأمور معقدة للغاية، بعد كل ما سببته من ألم لإسراء وأختها ... وافتراقنا طوال هذه السنين، حتى أنجبت طفلتها من حسن الصواف، وتذكرت تلك الدمعة التى ذرفتها إسراء عندما كانت في أحضاني ، تذكرتها جيدا وشعرت بما كانت تعانيه من ألم

شعرت بقسوة القدر وقرار أبي - ضابط الامن - الذى لم يحافظ على حياتى واستقرارى ، وإجباره لي على زواجي من منال ابنة المحافظ في ذلك الوقت لأغراضه الشخصية، واقتناعه بأن هذا هو القرار الصائب .

وها نحن الآن ندفع ثمن أخطائهم .

أطلقت زفرة حارة بما يعتمل في نفسي عندما وصل تفكيري عند تلك النقطة وتلفت حولي لاجد فتى وفتاة يمشيان الهوينى بجانب الكورنيش ويتهامسان وهما يمسكان بأكف بعضهما البعض، فابتسمت في حنان، وغادرت المكان في هدوء تاركا لهما المكان

لأستقل سيارتي، وأنطلق عائدا إلى المنزل ... لأبدء في رسم حياة جديدة ، لا أعلم إلى أين ستقودني ...

******

دقت الساعة الثامنة مساء وأنا ألتقط سلسلة مفاتيحي لأفتح باب المنزل بعدما أرهقني التجول في أنحاء المدينة .

ودخلت إلى البيت في خطوات هادئة ، واهنة ، وأفرغت متعلقاتى على الطاولة كعادتى دائما ... وكان المنزل هادئا جدا.

حتى تحركت في سرعة إلى حجرة ابنتي لأجدها تغط في نوم عميق، فتنفست الصعداء وصعدت درجات السلم في سرعة إلى حجرة نومي. ودنا إلى أذني صوت خرير الماء معلنا أخذ زوجتي منال لحمامها اليومي، وفي برود روتيني ، فتوجهت إلي ركن الحجرة لألتقط منامتي وأنا أفكر في كل المجريات التى ألقتها لي الحياة في هذا اليوم، حتى قاطعني رنين هاتف زوجتى الخليوى.

فألقيت نظرة خاوية على الهاتف وأنا أصيح في زوجتى

- إنها مكالمة لك يا منال

ويبدو أن منال كانت مستغرقة تماما لدرجة أنها لم تنتبه إلي، فمطيت شفتي في لا مبالاة وفتحت باب الحجرة

وتسمرت في مكانى

شئ ما قفز إلى عقلي بعد كل ما جرى، وربطت الأحداث الجديدة مع ظهور حسن الصواف في حياتى مجددا، وبقفزة واسعة التقطت الهاتف، وتصاعدت الدهشة والشك في أعماقي إلى ذروتها

فقد كان الهاتف لا يحمل رقم المتصل

وبكل ما يجول في عقلى من انفعال ، ضغط على زر الاجابة ....

وبكل قسوة

*****

أستلقت إسراء على الأريكة المفضلة لديها في المنزل وهي تلتقط أنفاسها في صعوبة، وتشير إلى أختها قائلة وهي تخلع حذاءها :

- من فضلك يا هند، إنني أتوق إلى فنجال من القهوة .... وبشدة

نظرت هند إلى أختها الكبرى في اشفاق وهي تومئ برأسها وتتجه إلى المطبخ في هدوء.

ثم التقطت الريموت الخاص بجهاز التلفاز وأخذت تقلب في القنوات الفضائية في ملل حتى ظهرت أختها وهي تحمل صينية القهوة وتضعها أمامها وتجلس إلى جوارها.

شكرتها إسراء بتمتمة وهي ترتشف القدح في استمتاع مرهق، حتى لاحظت إسراء أن أختها الصغرى لم تزح نظرها عنها وهي تحدق بها، فضحكت في توتر وهي تقول :

- مالذى أصابك يا هند، هل ترينى لأول مرة؟!

ابتسمت وهي تخفض نظرها إلى الطاولة التى تتوسطهما وهي تقول في خفوت :

- لقد جاء أستاذ مدحت إلى هنا

ابتسمت إسراء وهي تتوقع حدوث هذا، فهزت كتفيها في لامبالاة وهي تكمل ارتشاف قهوتها في هدوء :

لم تلبث هند أن حسمت أمرها ورفعت رأسها وهي تنظر مباشرة إلى إسراء قائلة :

- لقد أخبرته بشأن زواجك من حسن الصواف

وما ان انهت عبارتها حتى سقط قدح القهوة من يد اسراء لينكسر فوق أرضية الغرفة

وبمنتهى العنف ...

*****

- من المتصل ؟؟؟

هتفت بتلك العبارة وقد شارف حاجباى على الامتزاج من شدة انعقادهما معا ..

ولم أتلق جوابا من الطرف الآخر، لكنى سمعت شبح ضحكة ما .. أو هكذا خيل لي

- ماذا تفعل يا مدحت؟

علا صوت زوجتى بتلك العبارة ليرتعش جسدى ويسقط الهاتف من يدي ليسقط هو الآخر على الأرضية ويظهر ذلك الشرخ على شاشته العريضة وانا التفت إليها صارخا :

- من الذى كان يحادثك ؟

تطلعت إلي منال لعدة ثوان بانفعال لم أستطع تحديده ثم أجابت في حدة وهي تشير إلى الهاتف :

- أنت الذي يجب أن تجيب هذا السؤال، فقد سمحت لنفسك بالإجابة

ارتجف جسدي أكثر وأنا أصرخ :

- إنه لم يجبني، وكان الرقم محجوبا، أخبريني أنت من الذي يحادثك

صرخت منال وهي تلقى بالمنشفة على الفراش وقد انتقلت لها عدوى الصراخ :

- مالذى دهاك يا مدحت؟ منذ متى وأنت تسألني عن من يحادثني، لتفحص الأرقام في الفاتورة القادمة بنفسك

وتركتنى لتجلس أمام المرآة وهي تعدل من زينتها وكأن شيئا لم يكن وأنا أنظر إليها وأكاد أحترق من فرط الغضب حتى صحت فجأة :

- منذ متى وأنت تأخذين حمامك في هذا الموعد؟

توقفت منال عن وضع زينتها وهي تلتفت إلي محدقة بي غير مصدقة وهي تسألنى :

- ماذا تقصد؟

شعرت أنني قد ضربت على الوتر الحساس وأنا أصيح في هياج حقيقي بعد ان تأكدت من ذلك :

- أعنى أن هناك شخصا ما يدخل منزلي، أقصد أنك خائنة، أقصد أنك ساقطة رخيصة

ورفعت يدي اليمنى لأنهال علي زوجتى بصفعة هزت كيانها وهي تقف محدقة بي في ذهول، وتناهى إلى أذني صوت ابنتي وهي تركض مسرعة إلى الحجرة منادية باسم زوجتي

وتسمرت منال لعدة ثوان، وتوقفت ابنتي بعينيها الحائرتين في مكانها وهي تشاهدنا لأول مرة بهذا الموقف

ثم رفعت منال ذراعها الأيسر وهي تشير إلى باب الحجرة قائلة في صوت متحشرج :

- غادر منزلى يا مدحت، لا أريد أن أراك هنا مجددا

تراجعت خطوتين إلى الوراء غير مصدق لما أسمعه وأكملت منال حديثها قائلة :

- إن هذا منزلي، وبما إننى أصبحت الخائنة، فلا يحق لك البقاء فيه

ظللت أحدق في وجه زوجتى وكأنى أراها لأول مرة حتى صاحت بشكل هستيري :

- قلت لك اغرب عن وجهي

وانطلق بكاء ابنتنا يشق المكان وأنا أهرول من المنزل ... وكأن كل شياطين الجحيم تلاحقنى وأدرت محرك السيارة وأنا أدير عيني في المنطقة لأشاهد الجميع ينظرون إلي من نوافذ حجراتهم

وانطلقت سيارتى مطلقة صريرا مزعجا نحو هدف واحد

منزل إســراء

تاركا خلفي دون أن أدري ... زوجتى منال

وهي تلتقط سماعة الهاتف وتطلب رقما خاصا

رقم الشيطـــان ..

شخصيا ...

******

قفزت هند في فزع بعد سقوط الفنجال من يد اختها الكبرى اسراء وتلك الاخيرة تصيح فيها بجنون

- ماذا فعلتي أيتها التعسة ؟

وضعت هند يدها على صدرها محاولة تهدئة قلبها وهي تبتلع ريقها في صعوبة قائلة :

- ماذا هناك يا إسراء؟

دفنت إسراء وجهها بين كفيها وهي تقول في صوت متهدج :

- لقد هدمت كل شئ يا هند، أنت لا تعرفين مدحت مثلما أعرفه أنا، لن يستسلم حتى يصل إلى حسن

سألتها هند في حيرة :

- وماذا في هذا ؟

رفعت إسراء عينيها إلى أختها الصغيرة الحائرة والدموع التى تسيل من عين اختها وهي تقول:

- إن حسن الصواف هنا في القاهرة يا هند، وقد كنت معه البارحة ، وقد أخبرنى بموافقته على تكفله بمصاريف دراستك التى ترغبين بها في الخارج بعد الانتهاء من التخرج ، وكان الثمن هو تقديم رأس مدحت اليه

وانطلقت شهقة هند مع رنين جرس الباب الذى يدقه مدحت في جنون، ليعلن بداية المنحنى الأخير مع تلك الاهداب

اهداب الخيانة

******

انزعج مدحت كثيرا وهو يدق الجرس عدة مرات دون مجيب، دون أن يعلم ما الذي يجرى خلف الباب ، فقد اوشك على فقد عقله الذي يضج بمئات الأسئلة، ويريد إجابتها بأية طريقة ولم يجد سوى إسراء

أما في الداخل فقد أشارت إسراء إلى أختها بأن تدخل إلى غرفتها، وتحركت أختها كالمصدومة غير مصدقة لما سمعته الآن.

ونزعت إسراء سترتها وهي تلتقط منديلا من على الطاولة لتمسح به دموعها وتعدل من وضع زينتها في سرعة وحرفية وفتحت أزرار القميص في سرعة وهي تلقى نظرة على المرآة التى بجانب الباب وهي تحمل مزيجا بين البغض والامتعاض واللهفة.

وتوقف دق الجرس بعد أن يأس مدحت من الإجابة واستدار متجها إلى باب شقته ولكنه سمع صوت الباب وهو يفتح، فاستدار في حدة وهو يرى وجه إسراء يطل من خلف الباب وهي تبتسم في خمول وكسل قائلة :

- مدحت

ارتبك مدحت قليلا ثم سألها :

- هل كنتِ نائمة ؟

أجابته في ابتسامة حنون بعد أن تأكدت أنها قد كسرت حدة اللقاء :

- بل كنت أستعد للنوم

صمت لثانية وهي تغمزه بعينيها :

- هل تنوى المبيت هنا .... وحدك؟

صمت مدحت دون إجابة وهو في قمة الحيرة وقبل أن يفتح شفتيه ليجيبها، استطردت إسراء في سرعة :

- سأغير ملابسى وسآتي إليك في عشر دقائق

وأغلق الباب واستندت إليه وهي تطلق دمعتها الحبيسة في صمت، ثم تحركت إلى مقعدها لتجمع أشلاء فنجانها المكسور ..

****

الفصل الرابع

قطعت منال الردهة ذهابا وإيابا وهي تفرك يدها في توتر شديد

وهي تراجع خطتها بكامل حذافيرها ، فقد استمعت إلى حسن في كل شئ نصحها به

لكنها لم تعد تقدر على التمثيل أكثر من هذا

إنها بحق أصبحت تكره مدحت من أعماق قلبها ...

وهذا ما دفعها للجوء إلى حسن الصواف

واستشارته

الذى كان له نصيب الأسد فيما يجرى

حتى أصبح هدف تحطيم مدحت أكثر مما ترغب فيه شخصيا

لكن بعد ما حدث هذا اليوم

فقد قطعت الطريق

وتعجلت النهاية ...

وقررت أن تضع خطوط النهاية في حفل الزواج الأخير

****

توقفت إسراء أمام باب مدحت قليلا ثم حسمت أمرها وطرقت الباب ثلاث طرقات متتالية

ولكنها لم تجد استجابة ، فأطلقت زفرة طويلة وضغطت على جرس الباب

وسمعت وقع أقدام مدحت ، ثم ظهر من خلف الباب وهو يرمقها بنظرة طويلة وترك الباب مفتوحا ودخل إلى غرفته مباشرة

فدخلت إسراء بسرعة وأغلقت الباب خلفها وهي تراقب ما جرى للمنزل، فقد كان من الواضح أن مدحت يبحث عن شيئ ما

وتصاعدت مخاوفها عندما سمعت صوت الصندوق وهو ينسحب من أسفل سرير مدحت

فتحركت بسرعة وهي تراقب مدحت وهو يفرغ أغراضه بعصبية

فسألته في توتر :

- عن ماذا تبحث يا مدحت؟

هز مدحت رأسه دون إجابة ، فمالت إسراء عليه وهي تضع يدها حول عنقه وتلتصق به من الخلف وهي تهمس في أذنه :

- هل تريد مساعدة؟

توقف مدحت وارتعش جسده ، وشعرت إسراء بتلك الرعشة ، فابتسمت في نصر وهي تتابع :

- أم تفضل أن نقوم بشيئ آخر

نهض مدحت من جلسته التى تشبه القرفصاء وهو يستدير لمواجهة إسراء مباشرة

وهو يتأمل وجهها الجميل ويستنشق عطرها المميز ليملأ به صدره

ثم ابتسم لينطق بجملة واحدة :

- هل تقبلي الزواج منى يا اسراء

****

هناك ... على بعد عدة أميال من القاهرة الجديدة

وعلى الطريق المؤدي الى مدينة الاسكندرية السريع

توقفت احدى السيارات الفارهة امام بوابة لفيلا ضخمة ، واطلقت نفيرا لمرتين متتاليتين ، لتنفتح بوابة الفيلا في هدوء ...

لتنساب السيارة الى داخل الفيلا في سلاسة ونعومة ، حتى ظهر احد الخدم وهو يركض الي السيارة في سرعة وهو يفتح بابها الخلفى وينحنى انحناءة مبالغة وهو يقول :

- ان السيد ينتظرك يا سيدتى

غادرت السيدة السيارة في سرعة وهي تحث الخطى حتى وقفت في الردهة وهي تحاول في صعوبة ان تبتلع ريقها وهي تنظر الى باب المكتب المفتوح امامها والضوء الخافت والموسيقي تنساب من الحجرة ، ثم استجمعت شجاعتها ودخلت الى الغرفة لتقف امامه .

أمام الشيطـــان ... شخصيـــا

التقطت هند هاتفها المحمول وهي تحاول الاتصال عبثا بأختها الكبرى بعد ان غادرت المنزل ، وجاءتها الرسالة المسجلة التى تفيد ان الهاتف خارج نطاق الخدمة في رتابة وملل ، واطلقت زفرة حارة وهي تقذف بالهاتف على الفراش ، والقت جسدها على الأريكة الكبيرة التى تواجه الفراش وهي تنظر إلي هاتفها المحمول

حتى ارتفع صوت صياح الطفلة ، فاسرعت تغادر الغرفة الى غرفة الطلفة المجاورة لها مباشرة لتأخذها في احذانها وهي تربت على كتفها قائلة :

- لا تقلقى يا صغيرتى ، انه حلم مزعج

واستمرت في تهدئتها حتى أسبلت عينها في نعومة وبراءة من جديد وارقدتها في هدوء وحرص على الفراش .

ونهضت لتمسك الغطاء ، وتسمرت في مكانها وهي في ذلك الظرف الأصفر الذى ظهر طرفه من أسفل الوسادة .

ثم مدت يدها المرتجفة لتلتقطه في سرعة وهي تحاول ان تغادر الغرفة ، وبقفزة واحدة اصبحت في ردهة المنزل وهي توقد الانوار وتفض المظروف في عنف ، وتقرأ سطوره القليلة

لتطلق شهقة جزع ... ووداع . ممهورة بأسم أختها الكبرى

إســراء ســالم

****

انقضت ساعات الحب الطويلة بين إسراء ومدحت في حب عنيف ، على عكس لقائهم الأخير ، ثم غط مدحت في نوم عميق في احضان اسراء التى شرعت تداعب خصلات شعره وهي تتأمل ملامحه في صمت

فقد انتهى دورها واستلمت ما تريده لتؤمن حياتها وحياة طفلتها ، ومستقبل اختها الصغرى .

وكان الثمن هو تسليم عشيقها وحبها الوحيد الى يد حسن الصواف بنفسه .

ولكنها لم يكن لديها الخيار ، فهى تعلم ما قد ستؤول اليه الامور ان رفضت ، أو حتى اشارت بالاعتراض

فقد كانت ابنتها هيا الثمن .

واليوم بعد انتهت الخطة

ولم يتبقى سوى الخطوة الأخيرة ...

جاء حبيب العمر ليطلب منها الزواج

وأصبحت امام المفترق الصعب

وكان عليها الاختيار

فقد اصبحت الدقائق ثمينة ... للغاية

****

- هل حصلتى على الخاتم

نطق ذلك الشخص الذى يجلس خلف المكتب والظلال تخفى الكثير من ملامحه وهو يتحدث في صرامة وخشونة الى تلك السيدة

فأومأت السيدة برأسها في ايجاب ، فأشار لها بالجلوس على الكرسي المواجه إليه بجوار الباب

فجلست والقلق يرتسم على ملامحها في وضوح وهي تقول :

- هل يمكننى أن أرى أخي الأن ؟

أجابها الرجل في اقتضـــاب :

- كلا ، انه نائم ...

صمتت السيد وهي تنظر إلى أرض الحجرة في انكسار ، مما جعل الرجل يضحك في استهتار واضح وهي يقول في تهكم :

- يبدو أنك قلقة عليه

رفعت السيدة رأسها في ذل ...

فأكمل الرجل وهو ينهض من على مكتبه وهو يتحرك نحوها وتظهر ملامحه في وضوح وهو ينحنى لينظر اليها مباشرة

- لقد انتهى الامر ... وستقيمين الحفلة في الغد ، ليحضرها الجميع لتنالين كل ما ترغبين يامنـــال

واطلق ضحكته التى بدت انها تتردد في الجدران في قوة

وأخلتج قلب منال معها ، بعد ان اصبح باب العودة مستحيلا

تململ مدحت في الصباح وهو ينظر الى ساعة الحائط في كسل وهو يبتسم لرؤية اسراء وهي تصفف شعرها امام المرآة التى ابتسمت له عندما رأته وهو ينظر اليها ، ونهضت لتجلس على طرف الفراش وهي تقول في دلال :

- ألم يحن الوقت لكى تنهض ؟

ابتسم وهو يجيبها :

- اليوم العيد القومى لتحرير سيناء ، بمعنى آخر أننا سنقضى اليوم سويا

هزت اسراء رأسها نافية وهي تقول :

- كلا ، يجب عليك ان تذهب لكي تجهز نفسك لعيد ميلاد ابنتك ، وشراء هديتها اليوم .

ظهر الازعاج على وجه مدحت ، وقد تذكر ان اليوم هو موعد عيلاد ميلاد ابنته في النادي ، وتضاربت الاحداث في رأسه

فابتسمت اسراء وهي تضع يدها على قلبه :

- لا تقلق يا حبيبي ، سأكون معك ...

اجابها في حيرة

- ماذا تعنين ؟

زادت ابتسامتها في غموض وهي تهتف :

- هل نسيت ان زوجتك قد وجهت لي دعوة بهذه المناسبة

واتسعت ابتسامتها اكثر ... واكثر ...

****

وقفت منال زوجة مدحت تشرف على الاعدادت الخاصة لحفل عيد ميلاد ابنتها في ذلك النادي الذى يعد من أرقى الأندية في القاهرة ..

وقد اصابها القلق لما سيجرى في هذا اليوم ، وحرصت ان تظل القاعة خالية ولا يدخلها سوى الطاقم الخاص باعداد الحفلة ، وهى تنقل بصرها بين الفترة والأخري بين ساعتها وبين العاملين في القاعة حتى فرغت من كل الترتيبات وراجعت اسماء المدعوين مع المقاعد وفقرات الحفل المقترحة

وخرجت لالتقاط ابنتها التى تلهو وتعلب مع عدد من الاطفال في احدى القاعات المخصصة في النادي ، وذهبت معها لتغير ملابسها استعداداً للحفلة ...

في نفس الوقت الذى استقلت فيه اسراء سيارة مدحت وهي تطلق ضحكة عالية قائلة في سعادة حقيقية :

- ان هذا الخاتم اروع بكثير من ذلك الخاتم القديم يا مدحت

ابتسم مدحت في رصانة غير معهودة وهو يرد باقتضاب :

- ولكنك لا تعرفين قيمة الخاتم الاخر

تسرب القلق الى اعماق اسراء فاسرعت تسأله في دلال :

- وهل ستعلن خطوبتي اليوم امام زوجتك

ضم مدحت شفتيه وهو يشعل محرك سيارته مجيبا :

- هذا يعتمد .....

ثم بتر عبارته وهو يعقد حاجبيه مفكرا ، فسألته اسراء في الحاح :

- يعتمد على ماذا يا مدحت ؟

جذب مدحت ذراع السرعة وهو ينطلق بسيارته قائلا :

- يعتمد على ما سيجرى في هذه الليلة

وانطلق مسرعا في طريقه الى النادي ، فقد كان عقله يشتعل بمئات الافكار ، وقد أيقن ان هذه الليلة ستكون مميزة

للغاية

****

الفصل الخامس

بدأ الاصدقاء والمدعوين يتوافدون على القاعة ، وتعالت اصوات الضحكات والدعابات ومنال تنتقل بين المدعوين وعلى شفتيها ابتسامة مدروسة

وهي تحاول التغلب على قلقها الذى اصبح على ذروته ، حتى ارتفع صوت رنين هاتفها فاعتذرت في لباقة وهي تتحرك مسرعة الى باب القاعة وهي تجيب على الهاتف في سرعة وتوتر :

- كلا .... لم يظهر بعد
- لا تأتى الأن ، اريدك ان تدخل الي القاعة بعدها بنصف ساعة على الاقل
- أجل ، ان الخاتم في طريقه خارج البلاد الأن
- لا تقلق ، سأذهب الان حتى لا ألفت الانظار

واغلقت السماعة في قوة وهي تعود الى القاعة لتذوب وسط الجموع حتى ارتفع صوت مدحت في المكان في مرح :

- من هو حبيب بابا

وارتفع بعدها صوت ابنته في الطرف الثانى من القاعة :

- أنا يا بابا

تعالت ضحكات الجميع ، ولكنهم لم يلبثوا ان انقطع ضحكاتهم وهم يرون مدحت عن باب القاعة الخاصة بالاحتفالات وهو يمسك بدمية كبيرة الحجم في شكل دب أبيض اللون وبجواره كانت تقف اسراء

وفي أبهى صورها ...

****

تعالى صوت النداء الأخير في مطار القاهرة الدولي مكررا عن اقلاع الرحلة التى ستتجه الى مدينة بروكسل وظهرت هند وهي تركض في المكان باتجاه الاستعلامات لتعرف رقم بوابة تلك الرحلة ثم ركضت باتجاه البوابة ووقفت وهي تحمل علبة صغيرة ، وبصرها يجول في ارجاء المكان باحثة عن شئ غير محدد ، وفي صمت اقترب منها كهل يرتدى بذة بيضاء انيقة بدت متناسقة مع لون شعره الشاهق البياض حتى اصبح خلفها مباشرة ونطق بلغة عربية ركيكة :

- هل تبحثين عن شخص يا آنسة

التفتت اليه هند في حدة وهي ترمق ذلك المنديل الاسود الذين يزين البدلة في مزيج من الحنق والارتياح ، ثم ابتعلت ريقها في صعوبة وهي تومئ برأسها وهي تجيبه :

- أننى ابحث عن رجل يغرق نفسه في البحر الاسود

ارتسم شبح ابتسامة على ذلك الكهل وهو يجيبها

- يمكننى ان أساعدك ولكنى احتاج الي مظلة

ثم مده يده الي هند التى ترددت لوهلة ثم وضعت العلبة في يد الكهل الذى وضعها في وغادر المكان في سرعة :

ووقفت كالتمثال والزحام يبتعلها ، بعد ان نفذت ما طلبته منها اختها الكبرى ...

وبعد ١٨ دقيقة كاملة ... انطلق النداء معلنا اقلاع الطائرة بنجاح ...

عندها فقط ، انفجرت هند بالبكاء

وبحرارة

******

صمت الجميع فجأة وركضت الطفلة الصغيرة باتجاه والدها وهي تطلق صرخاتها المرح وتقفز لتلتقط الدمية وترقص بها ، ليبدأ التهامس يسري في القاعة ومنال تقف وهي ترمق اسراء بنظرات غير مفهومة

وفي هدوء مستفز تقدم مدحت منها وهو يضع يده في يد اسراء حتى وقف امامها في هدوء وهو يتأمل ملامحها قائلا :

- منال ، اقدم لك اسراء سالم

مطت منال شفتيها في امتعاض قائلة :

- غنية عن التعريف

هز مدحت رأسه نافيا :

- لا اعتقد هذا ... فانا لم اكمل عبارتى

ثم صمت قليلا وقال :

- زوجة المستقبل

****

فرك حسن الصواف يده في توتر شديد وهو يجلس خارج القاعة وعيناه متعلقة على بابها وهو ينتظر رنين الهاتف بين لحظة وأخرى

فقد كان مستقبله ومصيره متحدد في هذه اللحظات ، ثم اخرج قداحته في عصبية ليشتعل سيجارة وينفث مع دخانها توتره

والتقط جهاز الهاتف من جيب سترته وهو يعيد الاتصال بمنال مجددا وانتظر ذلك الصوت الرتيب من الجهة المقابلة ، لكن دون اجابة

فاغلق الهاتف ووضع على واستمر ينفخ دخان سيجارته في قوة ، حتى انتهت وقام باشعال واحدة تلو أخرى حتى ارتفع رنين الهاتف معلنة وصول رسالة جديدة فالتقط الهاتف في انفعال جارف وهو يقرأ عبارة محددة

(تمت الصفقة بنجاح)

وهنا فقط ... تنفس الصعداء ، واطفأ سيجارته بكل قوة على المطفئة ، وارتسمت ابتسامة النصر على شفتيه وهو ينهض من مقعده في انتصار ويغلق ازرار سترة وهو يتجه نحو باب القاعة ، ليضع بصمته الاخيرة على انتصاره الاخير

****

حدقت منال في وجه مدحت لدقيقة كاملة ثم هتفت كالمأخوذة :

- زوجة المستقبل

اومأ برأسه ايجابا وهو يهتف في صرامة :

- اجل

وامسك بمعصمها وهو يقودها الى طاولة في نهاية القاعة ، واستمرت برامج الاحتفال في صخب حتى ظهر احد السحرة ليقدم فقراته والتف الجميع من حوله وهم يطلقون ضحكاتهم دون ان ينتبهوا لما يجرى

وجلست اسراء والتقط مدحت احدى الكراسي وهو يهتف بلهجة آمرة :

- تفضلى بالجلوس يامنال

جلست منال دون ان تشيح بنظرها عن وجه مدحت وجلس الاخير في المقعد المواجه لها وهو يضحك مشيرا الى الخاتم الذى ترتديه منال :

- أين الخاتم يا منال

ارتعشت منال وكأنها تفيق من حلم عميق وهى تنظر الي يدها وتبدلت نظراتها الى نظرة مفعمة بالحقد والكراهية وهي تقول :

- أنه شعار خيانتك يا مدحت

زادت ابتسامة مدحت وهو ينقل بصرها بينها وبين اسراء التى بدا عليها التوتر ثم اسطرد :

- لست اقصد هذا الخاتم ، بل أقصد الخاتم الآخر

ارتفع صوت حسن من خلف مدحت وهو يقول ساخرا :

- انه في ايد امينة يا مدحت

استدار مدحت الى حسن مبتسما وهو يتأمله من الاعلى الى الاسفل

وانفجر ضاحكا ....

مفجرا الدهشة في الجميع

****

التفت من في القاعة تجاه مدحت الذى استمر في ضحكته وكأنه اصيب بالجنون ثم نهض وهو يشيح بيديه قائلا :

- لا تلقوا بالا لما يجرى ، اكملوا فقرات الحفل

ثم استدار لمواجهة حسن وهو يقول في لهجة غامضة وغريبة على شخصيته :

- اعتقد ان بيننا حديث طويل

اجابه حسن بابتسامة عريضة وهو يحاول ان يفهم مالذى يجرى بخلد مدحت :

- بكل تأكيد يا صديقي

التفت مدحت الى السيدتين وهو يقول بحركة استعراضية :

- هل تتفضلون معنا لنكمل حفلتنا الخاصة

وتحرك بسرعة الى الغرفة الخاصة بالتجهيزات وبأشارة منه لتخلوا القاعة من العاملين

لتبدأ المواجهة الاخيرة .... والحاسمة

دلف الأربعة الى الغرفة والتوتر يجتاح اسراء حتى انها جلست على اول مقعد صادفها بعد ان عجزت قدماها على حملها واغلق مدحت الباب وهو يلتفت اليهم بابتسامته العريضة :

- حسن الصواف ... عدوى اللدود

انعقد حاجبا حسن وهو يقول :

- والمنتصر عليك دائما يا مدحت

غمز مدحت زوجته منال بشكل خبيث وهو يشير الى منال قائلا :

- بالطبع والفضل يعود الى زوجتى منال وعشيقتك الجديدة

ارتفع حاجبا حسن الصواف في دهشة وانفجر ضاحكا بدوره هذه المرة وابتسمت منال في سخرية وهي تجيب مدحت :

- عشيقة من ايها الغبي ، أنه اخي ... حسن الصواف أخي

وارتفع ضحكة حسن اكثر واكثر

وكانت المفاجأة من نصيب مدحت

****

حاولت هند ان تحافظ على هدوئها امام الضابط المسؤول في المطار ولكن جسدها ظل يرتعش كالعصفور في ليلة ممطرة

ورمقها الضابط في نظرات صارمة حتى سألها في خشونة :

- هل توقعين على اقوالك يا آنسة هند

اومأت هند برأسها ، فتراجع الضابط في مقعده ثم التقط سماعة الهاتف واجرى اتصالا قصيرا لم تمض دقيقتان حتى دخل احد رجل ضخم الجثة الى المكتب وهو يضع عددا من الاوراق امام الضابط على مكتبه وهو يقول في سرعة :

- هذه قائمة المسافرين على الرحلة المتجهة الى بروكسل سيادة العقيد

اومأ العقيد برأسه وهو يجيبه قائلا :

- صلنى باحد المسؤولين في هيئة الآثار واحضر مندوبهم الخاص في الحال .

والتقط الاوراق من امامه وهو يفحصها بدقة

فسألتها هند في صوت خافت :

- هل في مقدوركم ان تقبضوا عليه

نظر الضابط اليها وهو يجيب في حزم

- إننا لن نترك قطعة من تراب مصر تغادر بلادنا ... أبدا

وكان يعنى ما يقول .

****

تدلى فك مدحت السفلى كالأبله وهو يحدق في وجه زوجته وهو يكرر :

- اخوك ، ولكن ، ولكن كيف ؟

اجابه حسن في شماته :

- انها اختى من والدتى فقط ايها الأحمق ، لم اكون اتصور انك بهذا الغباء الذى صور لك اننى اخونك مع أختى

هز مدحت رأسه في قوة وكأنه ينفض الفكرة من رأسه وهو يصرخ :

- ولكنها لم تخبرنى يوما بهذا

اجابته منال في كراهية :

- هذا لأن والدك لم يرغب يوما في معرفة هذا ، كما انه كان يرغب في حمايتك من أخي

القى مدحت بجسده على المقعد وهو يكرر :

- اننى لم اعد افهم شيئا

ابتسم حسن وهو يأخذ نفسا عميقا في استمتاع وهو يقول :

- سأشرح لك يا صديقي ، ان منال أختى من والدتى المصرية ولقد توفت والدتى منذ زمن بعيد كما تعرف ، وكان والدي يتاجر في الآثار ، وكان هذا سبب ثرائه الفاحش والمباغت ، وعندما غادرت البلاد ، كانت هي من تتصل بي على فترات طويلة وقد علمت بأمر زواجك من أختى وكان تحت علمى وموافقتى منذ البداية ، ونظرا للظروف الاقتصادية العسيرة التى مررت بها في الخارج ، فقد كنت احتاج لتلك القطعة التى وضع والدك يده

عليها منذ البداية ليضمن بها حياته وحياتك بعد زواجك بأختى ولكنه توفى بعد زواجكم بعام واحد

ثم التقط نفسا عميقا وهو يتأمل ملامح مدحت في شماته :

- وكنت انا في حاجة الى ذلك الخاتم لأقوم ببيعه واغطى تلك الديون التى ادين بها لبنوك بروكسل وكانت العقبة الوحيدة هو كيف الوصول اليه ... وكان هذا هو دورها

أتبع حديثه بالاشارة الى اسراء

هتف مدحت في خفوت :

- ولكنها لم تكن تعلم بأمر الخاتم الأثرى

ابتسمت منال وهي تقول :

- لقد اخبرتها بكل شئ ايها الخائن ، وكان هذا دليل خيانتك لي ولعائلتك

ثم رفعت يدها لتخلع الخاتم الذى يزين اصبعها وتلقيه في وجه مدحت :

- اما خاتمك انت وعشقيتك لم يكن ذا معنى سوى لأثبات خيانتك

نظر مدحت الى اسراء وهو يرى دمعتها الصامته على جبينها فسألها في لهجة تحمل كل الرجاء

- هل هذا صحيح يا اسراء ؟

اومأت اسراء برأسها في انكسار ، فدفن مدحت رأسه بين يديه في صمت ، فتابعت اسراء :

- لقد احكم حسن الصواف حصاره علي ، وقام بابتزازى بعد ان دفع احد الاشخاص الى في مكان عملي ولفق الي تهمة مخلة بالشرف واستخدم نفوذه للضغط علي ، وعندما رفضت هددنى بأنها سيقوم بخطف أختى وأخذ ابنتى مني وادخالى السجن

وصمتت قليلا ، ثم اكملت في صوت متهدج :

- وكنت واثقة انه لن يتورع عن فعل اي شئ للوصول الى هدفه

قاطعها حسن في شماته :

- ولكنك كنت تخفى الخاتم بمهارة تحسد عليها وانت تعتبره كنزك الثمين ، وكان لا بد من ادخال اسراء الى حياتك حتى تكشف لنا عن مكانه

رفع مدحت رأسه الى زوجته منال وهو يسألها :

- ولماذا لم تخبريني

ضحكت منال في سخرية مريرة وهي تجيب :

- أخبرك بأمر أخي الذى فر هاربا من بروكسل ، ام أخبرك بأمر خيانتك لي

وساد الصمت على المكان معلنا نهاية الجولة الاخيرة

****

ارتفع رنين الهاتف في غرفة الضابط والتقط سماعة الهاتف في سرعة واستمع في تركيز واهتمام شديد ثم اغلق السماعة وهو يتلفت الى هند قائلا في ارتياح :

- لقد هبطت الطائرة في مطار شرم الشيخ ... لحسن الحظ انها لم تغادر الاجواء

وهنا فقط ، قفزت هند من مقعدها ، وارتسمت على شفتاها ابتسامة ارتيـــاح كبيرة

والتقطت هاتفها المحمول تكتب رسالة سريعة

وتضغط ازرارها في قوة

****

ظل الصمت يسود على المكان حتى تمتمت اسراء في رجاء :

- ارجوك ان تسامحني يا مدحت

نظر اليها مدحت طويلا والتفت حسن الى اخته قائلا :

- هيا يا منال ... لقد أنتهى كل شئ ، دعينا نغادر البلاد ، احضرى ابنتك

ارتجف جسد مدحت فجأة وهو يلتفت الى حسن ، فابتسم حسن مجيبا :

- اعتقد انك لم تعد تصبح لأن تظل أبا مغفلا لطفلتك بعد الان

وتحرك حسن بأتجاه الباب ولكن مدحت استوقفه باشارة من يده وهو يسأله :

- أين الخاتم يا حسن

ابتسم حسن وهو سجيبه :

- لقد غادر البلاد يامدحت

جمع مدحت كل كل غضبه ومقته في لكمة اطلقها في معدة حسن وهو يصيح في جنون :

- أيها الحقير

سقط حسن على أرضية الحجرة مطلقا صرخة الم ومنال تطلع تصيح في وجه زوجها :

- هل جننت يا مدحت

قفز مدحت باتجاه حسن الملقى على الأرض وهو يصيح :

- سأقتلك يا حسن ... سأقتلك

وبحركة مباغته انفتح الحجرة بقوة ، ودخل الحجرة ستة اشخاص يرتدون بذات سوداء وأحدهم يشهر مسدسا باتجاه مدحت وحسن وهو يصيح

- توقفوا فورا .... مباحث الاثـــار

****

تجاهل مدحت نداء الضابط وانهال باللكمات على وجه حسن حتى انتشله اثنان من الضباط بالقوة من عليه

ونهضت اسراء وتلقتط هاتفها المحمول لتقرأ رسالة اختها مرددة في فرحة :

- مباحث الاثـــار

اجابها الضابط بإيمائة من رأسه :

- اطمئنى ، اختك قامت بدورها على اكمل وجه ياسيدتى

ثم اشار الي احد الرجال فاصطبحها الى الخارج ، وثارت منال وهي تصيح في هستريا :

- ايها الوغد ... ايتها الخائنة ... ايها الكلاب

فاشار الرائد الى رجاله ، فتوجه رجلان اليها ليحملانها خارجا وقد ساد الهرج والمرج القاعة وانطلقت الطفلة تركض خلف امها باكية

فاسرت مدحت يأخذ ابنته بين احضانه ، والتفت الرائد الى مدحت قائلا :

- لقد هبطت الطائرة منذ خمس دقائق في مطار شرم الشيخ والقينا القبض على المهرب يا سيد مدحت ، لكن الامر لن يعفيك تماما من المسائلة القانونية لأخفاء ذلك الخاتم الذى يعود الى الدولة الفاطمية

رفع مدحت عينيه الدامعتين وهو يومئ برأسه في مرارة ...

- انه ملكية خاصة لاجدادى يا حضرة الضابط ، ولا يمكنكم مسائلتى عن ميراثى

هز سامر رأسه متفهما وبإشارة اخيرة من الرائد ارغم الرجلان المتبقيان حسن الصواف على النهوض وهم يقودانه الى باب الحجرة وقد تراص الضيوف يراقبون المشهد في خوف وترقب .

وفجأة ، انسـل حسن من بين الرجلين واستل مسدسه في سرعة ومهارة .

وانطلقت الرصاصة تشق المكان

****

ارتفعت الصرخات في القاعة بعد صوت الرصاصة وساد الهرج والمرج المكان والكل يتدافع باتجاه الباب .

وفي الخارج شهقت اسراء وهي تصرخ باسم مدحت قبل تفقد الوعي ، وصاحت منال كالمجنونة بأسم أخيها وهي تحاول ان تتخلص من معصم الرجلين ولكن دون جدوى حتى انهارت وهي تبكي في انهيار

وماهى الا لحظات وظهر حسن الصواف وهو يغادر بصحبة الرجلين والدماء تغرق يديه اليمنى ليلقونه في سيارتهم وتنطلق سيارتهم بسرعة

ليخرج بعدها الرائد وهو يسير بجوار مدحت وهو معافى فنهضت منال تصيح في جنون مطبق :

- انت الخائن ، اقبضوا على هذا الخائن ، انه السبب في كل هذا

توقف الرائد وهو يرمقها بنظرة صارمة وتقدم باتجاهها مباشرة :

- انت متهمة بتهريب قطعة أثرية نادرة خارج البلاد ، وعقوبتها الاعدام ، اعتقد انه يجب ان تشغلى تفكيرك بهذا انت وأخيك .

تجمدت منال للحظات وارتجفت شفتيها ، لتنهال الدموع من عينيها قبل ان تسأل الضابط :

- أبنتى ، اريد ان أرى ابنتى

تأملها سامر قليلا ثم اشار بيده الى رجاله فانطلقت السيارة .

معلنة نهاية الصراع ... واغلاق الملف القضية

إلى الابـد

****

مضي شهر كامل

وفي احدى تلك المناطق من على كورنيش النيل ، وقف مدحت يراقب النيل في هدوء وشرود

دون ان يشعر بوقع الاقدام الانثوية التى تتصاعد من خلف

حتى سمع صوت اسراء وهي تهمس في اذنه :

- امازلت تأتى الى هذا المكان

التفت مدحت اليها في نظرة ما زالت تحمل بعض الشرود ثم عاد ينظر الى النيل مرة أخرى فوقفت اسراء بجانبه قليلا ثم قالت :

- لقد تخرجت اختى وسنغادر انا وهي البلاد الاسبوع القادم

اجابها الصمت مرة أخرى حتى التفت اليها مدحت وهو يقول في نبرة حزينة :

- هل هذا رفض لطلب الزواج

تأملت اسراء وجه مدحت في حنان وهي تجيبه :

- لم يعد هناك فائدة يا مدحت ، لن تستطيع نسيان ما جرى مطلقا .

تنهد مدحت مرة أخرى وتعلق بصره بذلك المركب الذى انساب في نعومة على صفحة النيل ثم سألها فجأة :

- كيف حال طفلتى

ضحكت اسراء ضحكة قصيرة ثم اجابت :

- انها اصبحت صديقة لشروق ابنتى ، ولا ادري كيف سأخبرها بمغادرتنا الاسبوع القادر

نظر اليها مدحت في امتنان وهو يهتف :

- لقد امضت الشهر الكامل برفقتكم دون ملل

اومأت برأسها موافقة وعاد الصمت يلفهما حتى اعتدل مدحت وهو يظر اليها قائلا :

- هيا بنا ... سأوصلك الى المنزل لأصطحب أبنتى

نظرت اليه اسراء في حزن فاستطر قائلا :

- هذا ان ظللت مصرة على قرارك

اجابته في خفوت :

- صدقني يا مدخت ، أنه القرار السليم

اومأ برأسه وهو يلقى على النيل نظرة أخيرة ونهض ليصطحب اسراء الى سيارته دون ان يتبادل معها الحديث حتى وصل المنزل واصطحب أبنته وغادر المنزل ووقفت اسراء في شرفتها تراقبه وهو يستقل السيارة هو وابنته

دون ان تشعر بأختها وهي تقف بجوارها

- هل تحبيه بكل هذا القدر

اومأت اسراء برأسها دون ان تلتفت اليها ودموعها تنساب في صمت حتى نطقت :

- ليس لديك أدنى فكرة يا هند ... ليس لديك فكرة

اما مدحت فقد كان يقود سيارته في طريقه الى المنزل حتى التفتت ابنته اليه قائلة :

- ألن استيطع رؤية امى مجددا يا أبي

هز مدحت رأسه نافيا وهو يجيب :

- كلا يا عزيزتى

صمتت الصغيرة في حزن وهي تداعب دميتها في صمت ثم قالت في صوت عالي :

- ولكن عمتى اسراء اخبرتنى انها ستأتى لزيارتنا كل فترة

ابتسم مدحت وهو يتلقط الخاتم من جيبه حتى وصل الى نفس البقعة بسيارته ... على كورنيش النيل وقذف به بكل قوته ليغطس في المياه

والتفت الى ابنته قائلا في مرح :

- الا ترغبين في عشاء مميز

صفقت الطفلة بيديها في جذل ، وانطلق مدحت بيسارته داخل المدينة

طاويا كل الصفحات في حياته ، ليتركها تغرق مع ذلك الخاتم

لتنتهى تلك الحقبة من حياته الى الابد

حقبة اهداب الخيــانة

****

تمت بحمد الله

٣٠ _ ٧ _ ٢٠٠٧

Ayman Showky